VOL. 66. 13114 THURSDAY 13 NOV. 1997

سحاب الكلام

د. فهد العرابي الحارثي

المجد للحياة!

على الرغم من شراستهم في الحرب والقتال، ظل اللبنانيون، من اكثر الناس قاطبة حبا للحياة: يؤكد هذا طريقتهم في التفكير، ويؤكد هذا ايضا انماط العيش التي يختارونها، في بلادهم، وخارج بلادهم، فاللبناني، بغض النظر عن مركزه الاجتماعي او حقيقة اوضاعه المادية، متهم دائما بالبذخ، وربما الاسراف احيانا. واللبناني نهم دائما فيما يتعلق بمصادر دخله، وهو يوظف لهذا الغرض ذكاءه وتجربته الطويلة في التجارة وانواع الاستثمار المختلفة.

وبيروت التي عاشت حوالي خمسة عشر عاما من الحرب والاقتتال والشحناء والبغضاء، هي نفس بيروت المتسامحة والفاتحة ذراعيها للحب والشعر والموسيقى.

وبيروت التي تظهر على وجهها ندوب القنابل والرصاص، هي نفس بيروت التي تعانق الجميع، وتراقص الجميع حتى طلوع الفجر او بزوغ الشمس.

كثيرا ما تنسى هنا انك تعيش في مدينة كانت تغرق في دخان البارود كل تلك السنوات الطويلة، وكانت تجوس فيها كل مقومات الشر المستطير، من عرقية وطائفية واورام سياسية خبيثة، كل تلك الحقبة السافرة من عمر المدينة الضائع.

رايت في بيروت ما لم اره في اية عاصمة «عربية» اخرى، وهو باختصار هذه المجموعات من الناس التي تخرج عند الفجر من بيوتها ومساكنها لتواجه البحر، ولتحتفي بنهوض الشمس، ولتذرع الشاطىء الجميل من اوله الى اخره، هرولة، ومشيا، كبارا وصغارا، نساء ورجالاً، في اكبر احتشاد رياضي جماهيري، يتنظم بطريقة تلقائية، وبالصدفة امام الفندق الذي اسكنه، ليتقدم الصفوف بعد قليل احد المتطوعين الذي ياخذ في قيادة موشح الالعاب السويدية ليؤكد اللبنانيون مرة اخرى انهم يعشقون الحياة في وجهها القوي، وانهم من الشعوب القليلة التي تعطي كل هذا الوقت وكل هذا الجهد لثقافة الجسد، وربما كان هذا هو احد اسباب بقاء اللبنانيين جميلين واقوياء ومتفائلين حتى اوقات الازمات.

كل هذه الاشياء الجميلة في بيروت لا تعني ان مجتمع لبنان الجديد في منأى تام عن بعض اوبئة العصر الفتاكة، فيكثر الحديث هنا عن المخدرات والشباب، ونحن نسمع في كل مكان عن حملات متوالية لمحاربة هذه المشكلة المعقدة. يكثر الحديث هنا ايضا عن جحافل الروسيات والاوكرانيات اللاتي اخذن يسممن البيئة البيروتية بالامراض وبالاخلاق المتدنية التي لا تلائم قامة لبنان الجديد.

ومهما يكن من امر فإن تناقضات البيئة اللبنانية تظل اقل استفحالا من تناقضات غيرها من البيئات العربية،

كما ان هذه البيئة اللبنانية نفسها - كما احسست - هي البيئة العربية الاكثر انفتاحا على الخليج والخليجيين، ربما لأن الخليج احتضن الكثير منهم اثناء الحرب، وربما لأن هذا الموقف يتفق مع العقلية اللبنانية التي تعطي المكان المتقدم للمصالح المشتركة، بعيدا عن الاحكام السبقية، وبعيدا عن الانطباعات الهشة، والتي تكون غير موضوعية في اغلب الاحيان، فاللبنانيون يدركون ثقل الخليجيين، على المستوى العربي، من حيث المال والاعمال والاستثمارات بمختلف انواعها، والعقلية اللبنانية بطبيعتها برغاتية وواقعية، وهي منساقة دائمة وراء مصالحها، ووراء ما يعود عليها بالفوائد الملموسة المحسوسة قريبة او بعيدة الاجل.

لبنان التي مجدت الموت ايام الحرب هي نفسها لبنان التي تعيد تشييد الحياة اليوم، وهي ما تفتا تحبها، وتتزين لها، وتوقد من اجلها الشموع في كل الزوايا والاركان.

لبنان الصغير، ينتعش في عشه مجددا، ليعلن عن ميلاده الكبير!